كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

جيل التطبيقات الإلكترونية

كيف يحقق الشباب ذواتهم ورغباتهم وخيالاتهم في العصر الرقمي

تأليف:

هوارد جاردنر

كاتي ديفيس

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

"الإنسان أمامه خياران: إما أن يكون تابعًا أو مبادرًا، ونحن نرغب في أن نكون مبادرين ومتقدمين". مقولة لسيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رعاه الله، هي كلمات نعتز بها ونستلهمها دستورا نهتدي به في كل ما تقدمه المؤسسة من مبادرات وأفكار ترتقي بالمجتمع وتنهض بفكره وثقافته. ولن نرضى بأن نكون تابعين بل سنواصل العمل والاجتهاد دائماً لنكون من المبادرين والمتقدمين.

من هنا تتشرف مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بإطلاق مشروع: "كتاب في دقائق" الذي سيسهم في نشر المعرفة من خلال تقديم أفضل ما كتب، إضافة إلى نقل العلوم والمعارف من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية على شكل خلاصة ممتعة وغنية بالمضمون والمعاني لمجموعة من أهم المجالات الحيوية في عصرنا الراهن وهي: القيادة والإدارة الحديثة ومدارسها المختلفة، التنمية البشرية والطاقة الإيجابية وفنون الدافعية والتحفيز، والأسرة وتحدياتها العصرية وقضايا المجتمع الآنية.

نعيش عصرا تتسابق فيه عقارب الساعة؛ عصر أصبح فيه الوقت سلعة ثمينة لمن يمتلكونها، وأثمن لمن يعرفون كيف يستثمرونها بالحكمة والتوجه صوب مستقبل أفضل. وعليه، فقد أردنا اختصار الكلمات ووضع الحروف في نصابها من خلال إتاحة المجال لقيادات دولتنا للاطلاع على جديد المعارف في أقصر مدة زمنية متاحة. مما سيبقي العقول متقدة والقلوب متوثبة.

إنه مشروع قديم حديث، فعلماء العرب والمسلمين قاموا في عصر النهضة بترجمة الكتب وتلخيصها بما يتناسب مع توجهات الباحثين والراغبين في المعرفة. وزخرت مكتبات الأندلس والعراق والشام ومصر بآلاف الملخصات لكتب الأدب والفلسفة والعلوم. واليوم تسعى مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم إلى إحياء تراث قديم ساهم في نشر المعرفة وبناء الحضارة العربية والإسلامية قبل أكثر من ألف عام.
يأتي هذا المشروع ضمن دعم منظومة نشر المعرفة التي تتصدرها المؤسسة، ولدينا كافة الأسباب التي تجعلنا نؤمن بأنه سيخدم شريحة واسعة من أبناء بلادنا على امتداد الوطن، لما فيه من فائدة كبرى تتجلى في نقل أكبر قدر من المعارف في أسرع وقت ممكن.

جمال بن حويرب
العضو المنتدب لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

حوار فعّال بين ثلاثة أجيال

دار حوار بين المؤلفين اللذين ينتمي أحدهما إلى جيل ما قبل الإنترنت، وينتمي الثاني إلى جيل الإنترنت من ناحية، وبين طالبة في المدرسة الثانوية تنتمي إلى جيل التطبيقات الرقمية، أو جيل ما بعد الإنترنت من ناحية أخرى. كان الحوار جزءًا تجريبيًا وعمليًا من دراسة واسعة لاكتشاف الدور الذي تلعبه التكنولوجيا في حياة الشباب الذين صاروا يعرفون باسم "المواطنين الرقميين"، لأنهم بدأوا يشبون عن الطوق وهم غارقون بين الأجهزة الذكية وفوق برامج وتطبيقات العصر الرقمي.

يعتبر "هوارد جاردنر" المؤلف الرئيس، "مهاجرًا رقميًا" بمفهوم هذا المصطلح المراوغ الذي يعني البعد تمامًا عن عالم تطبيقات الجيل الجديد من الحاسبات والأجهزة الذكية. وعندما كانت المؤلفة المساعدة "كاتي ديفيس" في المرحلة الثانوية لم يكن في منزل والديها سوى محطة تلفزيون واحدة. وبالتالي فإنّ العصر الرقمي قد لحقها ولم يسبقها. فهي إذن مواطنة "شبه رقمية". أما طالبة المدرسة الثانوية التي شاركت في الحوار فلا تتذكر لحظة واحدة من حياتها أمضتها بدون أجهزة كمبيوتر مكتبية أو محمولة أو هواتف ذكية أو إنترنت. فهي "مواطنة

رقمية" نموذجية أمضت كل حياتها وهي تحمل هاتفًا ذكيًا، متنقلة بين فيسبوك وتويتر وغيرهما من مجتمعات الشبكات الاجتماعية. وهكذا فإن هذا الحوار بين الأجيال قد ساعد على إجراء مقارنات بين ثلاثة علاقات مختلفة اختلافًا جذريًا بالتكنولوجيا الشائعة بين ظهرانينا اليوم.

وقد تمخض الحوار عن تعميق فهمنا لثلاثة موضوعات رئيسية هي:

- شعور الإنسان بذاته وهويته الشخصية؛
- علاقات الإنسان الحميمة بالآخرين وتأثيرها في نزعاته ورغباته؛
- وكيف نحلق بخيالنا بعيدا عن الواقع لنفعل قوانا الإبداعية الخلاقة عمليًا على أرض الواقع.

من المؤكد أنّ طبيعة البشر لم تتغير بشكل جذري على مدار التاريخ، وقطعًا لم تتغيّر بعد ظهور الإنترنت. ولكننا نزعم أنّ هويتنا (أي من نكون) وعلاقاتنا الحميمة (كيف نحب ونتعامل بعضنا مع بعض) وخيالنا (كيف نتصّور المستقبل ونصنعه ونبتكره)، هذه العناصر الثلاثة قد خضعت لعملية إعادة تشكيل في العقدين الأخيرين بسبب تأثير التكنولوجيا عموما، والتطبيقات الرقمية على وجه الخصوص.

التطبيقات

"التطبيق" app عبارة عن برنامج يتم تصميمه في الغالب ليعمل على جهاز محمول يسمح للمستخدم بتنفيذ عملية واحدة أو أكثر. يمكن أن تكون التطبيقات ضيّقة أو واسعة، بسيطة أو مركبة، صغيرة أو كبيرة، ولكنها تخضع دائما لعملية تحكّم صارم من قِبَل المصمِّم سواء كان شخصًا أو منظمة. ولذا يمكن اعتبار التطبيقات مواقع إنترنت موجزة، أو اختصارات مبرمجة لتأخذنا إلى ما نبحث عنه مباشرة دون عناء، ودون الحاجة إلى البحث على الإنترنت أو على شريحة الذاكرة الخاصة بك إذا كنت شخصًا تقليديًا ولا تستخدم أحدث معطيات التكنولوجيا. فالتطبيقات مواقع مختصرة ومبرمجة لتعطينا ما نريد دون أن نطلب.

جيل التطبيقات

لم ينغمس شباب اليوم في التطبيقات فحسب، بل إنهم يفكرون في العالم كمجموعة متكاملة من التطبيقات، فيرون حياتهم سلسلة من التطبيقات المطلوبة والمرغوبة، أو كأنها تطبيق واحد متواصل وممتد من المهد إلى اللحد. لقد وصفنا هذا التطبيق الشامل بـ "التطبيق الفائق" (super-app). فالتطبيقات وجدت لتلبّي كل ما يرغب فيه الإنسان؛ فإذا حدث وكان التطبيق المرغوب والمطلوب غير موجود، فينبغي تصميمه على الفور من قِبَل شخص ما (ربما من يطلبه هو نفسه).

تتسم التطبيقات بالأهمية إذا كانت تُعنى بالأشياء العادية وبالتالي تحررنا لاستكشاف مسارات جديدة وتكوين علاقات أكثر عمقًا والتأمل في أكبر أسرار الحياة وتشكيل هوية فريدة وذات مغزى. ولكن إذا كانت التطبيقات لا تعمل إلا على تحويلنا إلى مجموعة من البشر الكسالى الأكثر مهارة الذين لا يفكّرون من أجل مصلحتنا أو يطرحون أسئلة جديدة أو يطوّرون علاقات هامة أو يشكّلون شعورًا ذاتيًا ملائمًا وناضجًا ودائم التطور، فإنّها تمهّد الطريق نحو العبودية من الناحية النفسية. وبالنسبة للكلمات المستحدَثة، فإنّ التطبيقات التي تسمح لنا أو تشجعنا على متابعة إمكانات جديدة هي تطبيقات تساعدنا وتمكننا، وعلى النقيض من ذلك، عندما نسمح للتطبيقات بأن تقيد إجراءاتنا واختياراتنا وأهدافنا أو تحددها، فإننّا نصبح عبيدا لتلك التطبيقات و تابعين لها.

التطبيقات وتأثيراتها الثلاثة

✔ **الهُويّة وتحقيق الذات:** يمكن للتطبيقات أن تعوق تشكيل الهُويّة بحيث تدفعك إلى أن تكون الصورة الرمزية أو الصورة المنسوخة من أو عن شخص آخر؛ (أي صورة والديك أو أحد أصدقائك أو صورة من إنتاج أحد مبتكري التطبيقات) – أو يمكنها، من خلال إعطاء أولوية لخيارات مختلفة، أن تسمح لك بالتعامل مع مسألة تشكيل الهُويّة بصورة متأنية وشاملة ومدروسة. وقد ينتهي بك الأمر مع هُويّة أقوى وأكثر تأثيرًا، أو قد تستسلم لهوية جاهزة أو ارتباك لا نهائي في اختيار الهوية، فتعجز من ثمّ عن أن تكون أنت.

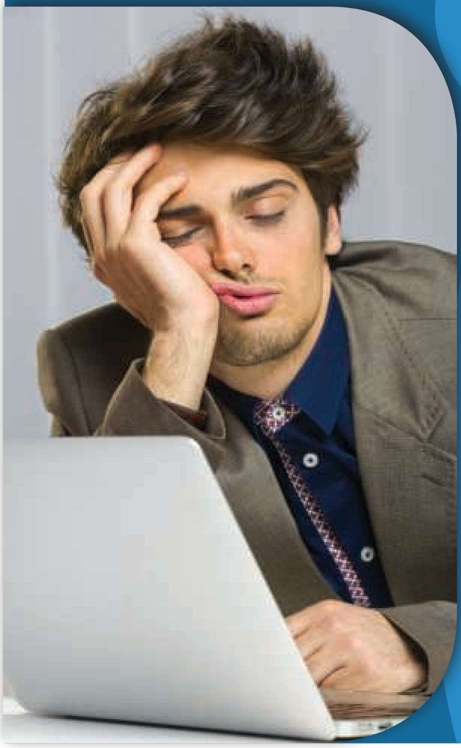

✔ **العلاقات الحميمة وإدارة الرغبات:** يمكن للتطبيقات أن تمهّد الطريق للعلاقات السطحية، وتثبّط التفاعلات والمقابلات الشخصية، وتؤكد أنّ جميع العلاقات الإنسانية يمكن تصنيفها إن لم يكن تحديدها سلفًا – أو يمكن من ناحية أخرى أن تفتح لك التطبيقات عالمًا أوسع بكثير، وتوفر لك سبلًا جديدةً للارتباط بالناس، في حين أنها لن تمنعك من إغلاق أجهزتك عند الضرورة – وهذا يضعك موضع المسؤولية عن التطبيقات وليس العكس. وقد ينتهي بك الأمر إلى إقامة علاقات أعمق وأطول أمدًا مع الآخرين، أو علاقة سطحية وسريعة، قد تكون إيجابية أو سلبية، أو اجتماعية وإنسانية، وقد تكون سادية وانعزالية، أو ضعيفة أو قوية، هادفة ونبيلة أو نفعية. المهم أن كل هذا يعتمد على اختياراتك من التطبيقات، وقراراتك بشأن تلك العلاقات التي تتحكم فيها بطرف واحد فقط، هو طرفك أنت.

✔ **الخيال وإدارة الواقع:** يمكن للتطبيقات أن تجعلك كسولًا، وأن تثبّط همتك وتحرمك من تطوير مهارات جديدة، وتوقعك في التقليد والتشبه، أو إجراء تعديلات ضئيلة لا تقدم ولا تؤخر. ويمكنها أن تفتح لك آفاقًا وعوالم جديدة كاملة للتخيل والإبداع والإنتاج وإعادة التوليد والتأليف، مما قد يساعدك على تكوين هويات جديدة وإنتاج أشكال ثرية من العلاقات والابتكارات.

الهوية الشخصية في عصر التطبيقات

كيف تتشكل هويات الشباب ويتم التعبير عنها في عصر التطبيقات؟

هل هي مختلفة بشكل تام أم سطحي؟

تناولنا هذه الأسئلة بعدة طرق، بما في ذلك عبر إجراء مقابلات وحوارات موسعة مع معلمين مخضرمين. واكتشفنا أنّ هويات الشباب تتحول مع الزمن إلى حزمة أو أيقونة تماثل أو تندمج مع اسم أو رمز التطبيق نفسه. وبمعنى آخر، يتم تطويرها وطرحها بحيث تنقل صورة معينة مرغوبة – ومتفائلة بصرامة في واقع الأمر – للشخص المعني. تعبئة الهوية أو سجنها في حزمة وفي إطار متكرر يؤدي إلى تقليل التركيز على الحياة الداخلية والصراعات الشخصية وعلى التفكير الهادئ والتخطيط الشخصي. وكلما اقترب الشاب من النضج، فإنّ وضع الهوية في حزمة يشجع على المغامرة والتعرض للمخاطر. وبصفة عامة، فإنّ الحياة في مجتمع غارق بالتطبيقات يعطينا العديد من السمات الصغيرة المجمعة والمتناقضة، ويغلفّها ويشكلها ويقدمها معبأة بالشخصية التي تبدو في الظاهر حزمة واحدة أو هوية واحدة، مع أنها شتات متناقض.

الذات المجمّعة والمغلفّة

يرى المشاركون في مجموعات الحوار والتركيز أنّ هويات جيل التطبيقات موجهة خارجيًا بصورة أكبر من هويات شباب ما قبل وسائل الإعلام الرقمية. بالنسبة للشباب الأثرياء، فإنهم يركزون بصورة أكبر على تقديم ذوات مغلفة ومصقولة وملمعة من شأنها أن تحظى بالقبول لدى مكاتب القبول في الجامعات ولدى أرباب العمل. ويبدو أنهم يعتبرون أنفسهم على نحو متزايد كائنات لها قيمة يمكن قياسها كمّيًّا بالنسبة للآخرين مثل: درجات اختبارات سات SAT، أو المتوسط التراكمي للدرجات GPA، أو مجموعة من الرسائل المتعلقة بمنتخبات الجامعات، أو جوائز، أو شهادات الخدمة المجتمعية، أو غيرها من الجوائز. وهكذا يقاس الإنسان ويقولب رقميًا ويعبّر عن نفسه، وينتمي إلى جماعات متآلفة ومتشابهة من الخارج، تركز على المظهر أكثر من الجوهر.

يتوجه مثل هذا الإدراك إلى تحقيق أكبر استفادة سريعة بحيث تقاس قيمة المرء بالنجاح الأكاديمي والمهني فقط. يقول أحد المشاركين في مجموعات تركيز: "عندما يُسأل الشباب عن آمالهم، فإنهم يعطون "إجابات واقعية وعملية قابلة للتحقيق" تقع في الوقت الحالي أو المستقبل القريب مثل "وظيفة جيدة" بصورة أكبر مما كان عليه الحال لدى الشباب الذين ينتمون لأجيال سابقة." وخلال حديثنا مع أخصائيي العلاج النفسي، أعلن أحد المشاركين إنّ العديد من شباب اليوم يعانون من "وهم التخطيط"؛ أي أنهم يتوهمون أنّ وضع الخطط يكفي للنجاح، فيتوقفون على الحد الفاصل بين التخطيط والتطبيق.

وهم التخطيط

وهم التخطيط هو الإيمان الخاطىء أو الاعتقاد الواهم بأنك إذا ما قمت بوضع خطط دقيقة وعملية، فلن يقف في طريق نجاحك أي عقبات أو تحديات مستقبلية.

تقوم وسائل الإعلام الرقمية بمنح الشباب الوقت والأدوات اللازمة لصياغة هوية جذابة من الخارج، فضلاً عن الجمهور الذي يرى تلك الهويات ويتجاوب معها. يؤكد (الفيسبوك) وغيره من مواقع الشبكات الاجتماعية على تقديم الذات من خلال تركيز هذه المواقع على ملفات التعريف الفردية للمستخدمين. ويتم استخدام العناصر القياسية لملف تعريف المستخدم على (الفيسبوك) – مثل قائمة أصدقائه وملف تعريفه والقوائم التي تتضمن أذواقه واهتماماته الشخصية – لتعبئة الذات للاستهلاك العام. أي تتحول الهوية إلى علامة تجارية وسلعة مادية.

ويبرز الاتجاه نحو التقدم التدريجي على الطريق المؤدي إلى النجاح، حيث يظهر أحيانا بعض الشباب العملي والبراجماتي يركز فقط على حياته المهنية ويتسم بمزيد من الواقعية بحيث يتجه نحو التعامل مع المشكلات ولا يتشبّث بالتصورات الأيديولوجية كثيرًا.

لا وقت "للذات"

التركيز على الفعل أكثر من العيش

تهدف التطبيقات وكل منتجات التكنولوجيا إلى تسريع الإنتاج وتوفير الوقت من أجل التأمل العفوي ولكن – ويا للمفارقة – يبدو أنها أعطت تأثيرًا عكسيًّا. فقد تلاشت اللحظات التي كنا نقعد فيها بمفردنا مع أفكارنا سواء كنا ننتظر موعدًا في مكتب الطبيب أو ننتقل إلى عملنا في القطار أو المترو، وحلَّ محلها الاستماع القسري للموسيقى أو إرسال الرسائل النصية أو ممارسة الألعاب على أجهزتنا الرقمية. وكثيرًا ما نفعل كل تلك الأشياء في وقت واحد. فنكتب تغريداتنا حول الأحداث في وقت تعرضنا لها، ونرد على رسالة بريدية لأحد الأشخاص ونحن نتحدث إلى آخر، ونشارك في كتابة عدة رسائل وحوارات نصية فورية في الوقت نفسه، وهي عادة شائعة بين الشباب. وبمعنى آخر، فإننا نركز على الفعل أكثر من العيش. فنظرًا إلى ميل الشباب إلى الاتصال الظاهري الثابت مع الآخرين، فإنهم لا يمنحون أنفسهم الوقت والمكان لمعرفة أفكارهم ورغباتهم؛ وبالتالي فهم "معرّضون للخطر" بسبب افتقارهم للمعرفة بالذات. فهم يعرفون التطبيقات ولا يعرفون أنفسهم.

التطبيقات والعلاقات الحميمة

يتواصل شباب اليوم بطرق تختلف تمامًا عن نظرائهم في مرحلة ما قبل وسائل الإعلام الرقمية. فنظرًا لقدرتها على تخطي الحواجز الجغرافية والزمنية، فإنّ الهواتف الخلوية المتصلة بالإنترنت والكمبيوترات اللوحية والمحمولة – كلها مُسلّحة بترسانة من التطبيقات الصالحة لجميع المناسبات – قد غيّرت ما يمكن أن يُقال وأين ولمن وكيف يقال. ولعل التغيير الأبرز هو ثبات وسرعة الاتصالات التي أصبحت ممكنة بفضل تكنولوجيا الهاتف المحمول.

فما الذي يقوله المراهقون عبر تطبيقاتهم ولمن؟

يخصص المراهقون جزءًا كبيرًا من اتصالاتهم على الكمبيوتر لإجراء (وأحيانا لإلغاء) ترتيبات سريعة تتعلق بلقاء الأصدقاء وجهًا لوجه. في إحدى دراساتنا، سألنا المراهقين ما أكبر شيء سيفتقدونه إذا حرموا من الهاتف الخلوي. أجابت إحدى المارهقات وعمرها ستة عشرة عامًا قائلة: "يساعدنا الهاتف الخلوي على وضع خطط تتعلق باختيار أماكن الرحلات والسفروالتنزه حيث لا نضع أنا وأصدقائي خططًا بالمعنى الحقيقي للكلمة. إننا نتنزه فحسب".

هذه العقلية التي تفكر وتعيش عبر التطبيقات تعزز الاعتقاد بأنه ما دام يمكننا الوصول إلى المعلومات والسلع والخدمات على الفور، فإنه يمكننا إدارة علاقاتنا مع كل الناس بنفس النسق. لقد أطلق الباحثون في مجال اتصالات المحمول على هذا السلوك اسم "التنسيق الدقيق" للتخطيط الفوري، ولاحظوا أنه يمكن أن ينزلق نحو "تنسيق مفرط" عندما يبدأ المراهقون في التفكير بأنهم مستبعَدون من الأوساط الاجتماعية إذا ما تم إبعادهم عن أجهزتهم المحمولة لأي فترة من الوقت. فالمراهق الذي لا يقرأ آخر "حدث" أو لم تصله آخر "رسالة نصية" فلا يحضر لقاء الأصدقاء، سيعتبر نفسه منبوذًا أو غير مرغوب فيه، لمجرد أنّ التكنولوجيا لم تمكنه من المشاركة.

في العلاقات الإنسانية: اختلاف النوعية لا يعني الأفضلية

قد تبدو التفاعلات الاجتماعية لشباب اليوم مختلفة تمامًا عما كانت عليه قبل عشرين عامًا. والأقل وضوحًا هو ما إذا كان هذا التغيّر في كيفية إقامة علاقات قد تحوّل إلى تغيّر في نوعية هذه العلاقات. هل الشبكات الاجتماعية لشباب اليوم أكبر أم أصغر؟ هل هي أعمق أم هي سطحية وضحلة مما كانت عليه في مرحلة ما قبل وسائل الإعلام الرقمية؟ هل العلاقات الشخصية أكثر أو أقل أصالةً وتلاحمًا ووفاءً؟

عندما نحاول الإجابة نتذكر نموذج المحلل النفسي الدكتور "إريك إريكسون". يتعامل هذا النموذج للتنمية البشرية والعلاقات الإنسانية مع تكوين العلاقات العميقة طويلة الأمد مع الآخرين باعتباره سلوكًا ضروريًا ومحوريًا لمرحلة التكوين والشباب وتشكيل الشخصية؛ وفي ظل غيابها، تسود مشاعر الشعور بالعزلة وانقطاع العلاقات وانفصامها. في الحالة الأخيرة، تزيد صعوبة التعامل مع التحديات اللاحقة في الحياة مثل تربية الأسرة والانطلاق في حياة عملية ناجحة.

من الاتصال إلى العزلة

العلاقة بين العزلة الاجتماعية ووسائل الإعلام الاجتماعي ليست واضحة. في الواقع، يبدو هذا غير بديهي. كيف يمكن أن تكون التكنولوجيا التي صُمّمت لربط الناس هي في نفس الوقت الأداة التي تجعلهم يشعرون بندرة التواصل؟ وكيف يؤدي الاتصال إلى انفصال؟!

لفهم هذه المفارقة الواضحة، دعونا ننظر في خبرات الشابة أو الطالبة المدرسية التي حاورنها مع الفيسبوك. فخلال دراستها في المرحلة الثانوية، قررت هذه الفتاة أن تقوم بتعطيل حسابها الشخصي على الفيسبوك. لقد انتابها السخط من شعورها بالوقوع تحت ضغط ملاحقة النشاط المستمر لأقرانها على الفيسبوك. "بامتلاك حساب على الفيسبوك، تشعر بأن عليك أن تدخل إليه أو ستفقد شيئًا ما، أو إذا ما كتب أحدهم على صفحتك فليس من حقك أن تنتظر يومين أو ثلاثة أيام حتى ترد. بل تشعر بأنه يتحتم عليك المتابعة باستمرار". دفع استعراض صفحات الفيسبوك أيضا إلى شعور تلك الفتاة بأنها "ليست جزءًا منه" وذلك عندما شاهدت زملاء الدراسة وهم يضعون الأسماء والتعليقات على صور بعضهم بعضًا، وهي صور سريعة التقطتها الهواتف المحمولة. فالصور وموجة التعليقات التي أُضيفت إليها ترسم صورة لمجموعة متماسكة من الأصدقاء الذين يعيشون في الظاهر لحظات من المرح السعادة أكبر مما كانت تشعر به تلك الطالبة ليلاً ونهارًا.

فالتناقض بين المظهر الخارجي للسعادة والتقلبات التي كانت تعتري حياتها النفسية الداخلية خلّف لديها شعورًا بأنه لا يمكنها أن تواصل التفاعل مع العالم بهذه الطريقة الآلية.

أحيانا تجعلنا وسائل الإعلام الاجتماعي مثل الفيسبوك نشعر بالوحدة لأنها تخلق انطباعًا لدينا بأنّ "أصدقاءنا" يمرحون مع عدد أشخاص رائعين وأكثر إثارة، وأنهم يعيشون قدرًا من المرح أكبر مما نشعر به. وقد سمعنا أيضا من الشباب أنهم يقضون ساعات يبحثون عن إنجازات أقرانهم الذين لا يعرفونهم إلا عبر الفيسبوك، وأنّ هذا النشاط الفضولي يشعرهم بالتنافسية والدونية وأنهم أقل حظًا.

وتقدم الدكتورة "شيري تيركل" الباحثة بمعهد "ماساشوسيتس" للتكنولوجيا تفسيرًا آخر. فرغم أن التطبيقات تسمح لنا بإنجاز العديد من العمليات، فقد لا تكون مناسبة تمامًا لدعم العلاقات العميقة التي تحافظ على العلاقات وتغذيها. تقتصر التغريدات على (تويتر)، التي تتكون بالضرورة من 140 حرفًا بحد أقصى، على جوهر الرسالة الرئيسية. وتلاحظ "تيركل" أننا قد نتجنب عمدًا الاتصالات العميقة عبر النصوص، مع إدراكنا للطبيعة العابرة لتغريداتنا وكتاباتنا، فضلًا عن شكوكنا أنّ الأشخاص على الطرف الآخر قد لا يعيروننا اهتمامهم الكامل.

تجنب المخاطرة يؤثر سلبًا على عمق العلاقات

هناك سمة هامة للعلاقات العميقة تتمثل في ضعف اهتمام الأطراف المعنية. فمن غير المريح مواجهة شخص آخر بأفكارنا وعواطفنا مباشرةً. ولكن الإقدام على هذه المخاطرة العاطفية هو ما يقرّبنا بعضنا إلى بعض. فنحن نشاطر العلماء والمواطنين على حد سواء قلقهم بأنّ التواصل من خلال شاشة بدلًا من اللقاء وجهًا لوجه يقضي كثيرًا على الحاجة إلى الإقدام على المخاطر العاطفية في علاقاتنا. فمن السهل إلكترونيًا أن نقرر ما نريد قوله، ونتشارك فيه عن بُعد، وبالتالي نتجنب عدم الراحة الناجمة عن رد الفعل المرتبك وغير المتوقع في الطرف الآخر الذي لا نراه ولا يرانا.

تعلمنا من خلال مجموعات التركيز أيضًا، أنّ بعض الشباب يعتبرون أنّ إرسال رسالة إلى شخص ما بدلًا من مكالمته هاتفيًّا أمرًا منطقيًا لأنه أقل تطفلاً، وليس مستبعدًا طبعًا أنّ يقوموا بإنهاء علاقاتهم عبر الرسائل النصية أو الفيسبوك بدلاً من اللقاء وجهًا لوجه، لأنهم هكذا بدأوها. ومن المؤكد أن إنهاء العلاقات بهذه الطريقة عن بُعد يفرغها قطعاً من الحميمية الحقيقية. تقول الدكتورة "تيركل": "هناك خطر أن نصل إلى الحد الذي نرى فيه الآخرين مجرد كائنات يُراد الوصول إليها – بل ولا نرغب إلا في الوصول إلى الأجزاء التي نجدها مفيدة أو مريحة أو مسلية فيهم".

التأثير القاسي لوسائل الإعلام الرقمية

هل يمكن أن تؤثر مشاهدة العالم من خلال تطبيقاتنا بالسلب على قدرتنا على مشاهدة العالم بعيون الآخرين؟

للإجابة عن هذا السؤال، ننظر في استطلاع للرأي أجرته وكالة الأسوشيتدبرس بالتعاون مع شبكة "إم تي في" عام 2011، حيث يؤكد أنّ الخطاب عبر الإنترنت قد يؤثر تأثيرًا قاسيًا على الطريقة التي يرتبط بها الناس بعضهم ببعض. في هذا الاستطلاع، ذكر 71٪ من المشاركين الذين تراوحت أعمارهم من 14 إلى 24 سنة أنّ الناس أكثر ميلاً لاستخدام لغة عنصرية أو لغة غير لائقة أخلاقياً عبر الإنترنت أو من خلال الرسائل النصية عن اللقاء وجهًا لوجه. لم تكن الطالبة الشابة التي حاورناها مندهشة من هذه الأرقام. فهي تعرف من خلال خبرتها أنّ الناس بصفة عامة يكونون أقل وقاراً على شبكة الإنترنت عنهم في الحياة الواقعية. فالأطفال يجدون أنه من الأسهل السخرية من شخص عبر نشرة أو صفحة خفية أو محجوبة الهوية على الفيسبوك أو تويتر. فهم ينسون شخصيتهم على الإنترنت ويستخدمون (حساباتهم الشخصية على الشبكة) في صورة هوية منفصلة تفقدهم الشعور بالمسؤولية ولا تكترث للنتائج، لأنها ترى فعلها مجرد حبر أسود على شاشة. فالصفحات العامة على الفيسبوك يمكن أنّ تكون مواقع ذات طابع عنيف ومتوحش. "يمكن أن يطلق الناس العنان لسلبيتهم ووحشيتهم عبر ردود أفعالهم تجاه الرسائل الأصلية للصفحة أو تعليقات الآخرين. وفي هذه الحالة، يمكن أن تتحوّل عملية التواصل إلى مناقشات تتعصب فيها مجموعات من الأصدقاء ضد مجموعات أخرى. فتتحوّل العلاقات إلى أزمات ومشكلات".

التطبيقات وخيال الشباب

قد يفتح الإعلام الرقمي آفاقًا جديدةً للشباب ليعبّروا عن أنفسهم بشكل خلاّق. يستطيع شباب اليوم القيام بأعمال فنية كبيرة ومثيرة مثل إعادة الصياغة وإنتاج الفيديو والتصوير والتأليف الموسيقي بصورة أسهل وأرخص من نظرائهم في مرحلة ما قبل الإعلام الرقمي. كما أنّه من السهل العثور على جمهور للإنتاج الإبداعي لأي مشروع. ولكن، يمكن أن يؤدي تصميم التطبيق إلى عدم الرغبة في تجاوز وظيفة البرنامج ومصادر الإلهام المعلّبة التي يخرجها محرك البحث "جوجل" مثلاً. ونتساءل: ما هي الظروف التي تجعل التطبيقات تساعدنا على إطلاق العنان لخيالنا؟ وما هي الظروف التي تجعلها تدعم طريقة غير مستقلة أو ضيقة الأفق بالنسبة للإبداع؟ بمعنى آخر: فإننا عندما نعثر على ما نريد جاهزًا ومُعلبًا، فإننا لا نضطر إلى الابتكار والإضافة، ونكتفي بالتحويل والتعديل!

تأثير التطبيقات الرقمية في الإبداع

بدلًا من البحث في نتائج التجارب حول الإبداع أو علاقاته الارتباطية (مثل اللعب)، اخترنا فحص الإنتاج الإبداعي الفعلي للشباب. وفرّت لنا هذه الطريقة نظرة أكثر واقعية على العمليات الإبداعية للشباب. لتحقيق هذه الغاية، أجرينا تحليلًا مستفيضًا مكونا من القصص القصيرة والفنون المرئية التي أبدعها طلبة المدارس المتوسطة والثانوية فيما بين عامي 1990 و 2011.

أولاً: الفنون المرئية

اشتملت أبحاثنا على تحليل 354 قطعة من الفنون المرئية التي نُشرت على مدار عشرين عامًا في مجلة Teen Ink، وهي مجلة دولية تُعنى بالإنتاج الأدبي والفني للمراهقين. كشف تحليلنا عن زيادة ملحوظة في تعقيد الأعمال الفنية المنشورة بين عامي 1990 و2011. وقد قمنا بتحليل خلفية كل قطعة وتركيبها، بجانب التقطيع وخبرات الإنتاج والأسلوب الشامل الذي استخدمه الفنان.

- اتضح أنّ القطع الفنية الأحدث كانت أكثر تطورًا واكتمالًا مقارنةً بالقطع الأقدم.
- كان الفنانون المعاصرون على الأرجح على دراية نوعًا ما بموقع الأشكال التي يرسمونها على المستوى المرئي.
- بدا أنّ الفنانين المعاصرين أكثر راحة عند تقديم الأشكال التي يرسمونها بشكل أقل تقليدية من الفنانين الأوائل.
- زاد عدد القطع التي تمّت معالجتها من خلال الوسائل الرقمية (مثل الفوتوشوب، المعالجة الفوتوغرافية التي تلي الإنتاج، وما إلى ذلك) بشكل ملحوظ على مدار العشرين عامًا الماضية.

وبفحص القطع بشكل شامل من حيث المحتوى والأسلوب، قمنا بتصنيفها في واحدة من ثلاث فئات:

1. **محافظة:** إذا كانت تتبع الأعراف التقليدية المتعلقة بالوسط الخاص بها بطريقة مناسبة ولم تخرج عن إطار الممارسات التقليدية لا في المحتوى ولا في الأسلوب.
2. **محايدة:** إذا لم تتبع أساليب الفنون التقليدية وفي الوقت ذاته لم تقدم جانبًا فريدًا أو ملفتًا فيما يتعلق بموضوعها.
3. **غير تقليدية:** إذا قدّمت محتوى أو أسلوبًا مبتكرًا بشكل واضح.

أظهر تحليلنا انخفاض نسبة القطع المحافظة من 33٪ للقطع القديمة إلى 19٪ للقطع الحديثة بينما ارتفع عدد القطع غير التقليدية من 19٪ إلى 28٪.

هذا الخروج عما هو مألوف يؤكد زيادة التميز في الفن الذي يقدمه الفنانون الشبان على مدار العشرين عامًا التي شملها بحثنا لوضع هذا الكتاب.

ثانيًا: الكتابة الإبداعية

أظهر تحليلنا للكتابة الإبداعية للمراهقين - بين طلاب المدارس المتوسطة والثانوية – نمطاً من التغيرات المختلفة الواضحة. قيمنا أنماط كل من: النوع الفني والفكرة وبنية القصة ومسرح الأحداث والفترة الزمنية.

- وجدنا دليلًا على انخفاض كتابة النصوص المعدة للعرض والرواية المسرحية التي تجنح إلى الخيال وتتطرق للسحر والموضوعات العبثية وغير الواقعية.
- وبالنظر إلى فكرة كل قصة من قصص طلبة المدارس المتوسطة، حددنا ثلاث فئات رئيسية للحبكة: حبكة الأحداث اليومية (الحبكة العادية تمامًا)، حبكة الأحداث اليومية ذات المعالجة الخاصة (أغلبها من النمط المألوف أو العادي لكنها تتضمن لحظة واحدة على الأقل من الأحداث المتصاعدة التي لا يمكن حدوثها كل يوم)، حبكة الأحداث الخيالية وصعبة الحدوث (وتتضمن عناصر خيالية و/أو حوادث مستحيلة). ولاحظنا تحولًا ملحوظًا بين القصص المبتكرة والأحدث يتمثل في الابتعاد عن القصص صعبة الحدوث إلى تناول قصص الأحداث اليومية. وقمنا بتصنيف ما يقرب من ثلثي القصص المبتكرة (64٪) ضمن فئة القصص صعبة الحدوث، بينما اشتملت نفس الفئة على 14٪ فقط من القصص الحديثة.

◆ في مجموعة بيانات طلاب المدارس الثانوية، مالت القصص الأقدم إلى بنية قصصية غير خطية بينما مالت القصص الأحدث إلى التدفق وفقًا للنمط الخطي التقليدي. ومن بين قصص طلاب المدارس المتوسطة، وجدنا أنّ الأحداث في القصص الأقدم تقع على الأرجح في مواقع غير مألوفة، مثل معركة الحرب العالمية الثانية. بينما وقع ثلث القصص الأقدم تقريبًا (32٪) في مواقع بعيدة، حيث لم نجد مسرحًا غير مألوف للأحداث سوى في قصة واحدة فقط من القصص الأحدث (5٪). وبالتوازي مع هذا الاتجاه، وجدنا أنّ الفترة الزمنية للقصص الأقدم تختلف عن الفترة الزمنية التي تم تأليف القصة فيها مقارنةً بالقصص الأحدث.

وبالنظر في كل هذه التفاصيل تبين أنه بينما اتجهت الفنون المرئية للمراهقين نحو منحى أقل تقليدية بمرور الزمن، فإنّ الكتابة الإبداعية النابعة من هذه المجموعة العمرية أصبحت أكثر تقليديةً بالمقابل.

وبالنسبة للغة، فإنّ اللغة في القصص الأحدث تعتبر أقل فصاحة مقارنةً بالقصص الأقدم. فالمؤلفون المعاصرون من الشباب بدأوا يميلون إلى لغة ضحلة ومبتذلة تتضمن تعبيرات سوقية وألفاظًا دارجة وكلمات مستحدَثة.

ما يقوله المعلمون

تحدثنا مع أساتذة الفنون (الفنون المرئية، والموسيقى، والفنون التعبيرية) الذين درسوا أكثر من عشرين عامًا ومن ثم يمكنهم ملاحظة التغييرات التي حدثت في العمليات التخيلية لدى الطلبة بمرور الوقت. ورغم أنّ هؤلاء الأساتذة قد أثنوا على المدى الواسع من الفرص الخلاقة المتاحة لشباب اليوم، فإنّ العديد منهم لاحظوا أنّ طلبة اليوم يعانون من صعوبة أكبر في إبداع أفكارهم الخاصة؛ فهم أميل إلى اقتباس الأفكار الجاهزة. قال أحد المعلمين: "لا يستطيع أكثر الأطفال موهبةً الإتيان بفكرة جديدة. لقد حصلوا على منح دراسية كاملة في كلية ماساتشوستس للفن والتصميم ولا يستطيعون ابتكار فكرة. فهم يذهبون لحواسيبهم المحمولة أولاً ويستنجدون بها. وقد وجدتني أسألهم على الدوام عن رأيهم فيما يبدعون وماذا يعني، فيردون: 'ليس عندي تصّور'". وعندما يخرجون أفكارهم الخاصة، يجدون صعوبة في تنفيذها. وقال معلم آخر: "اعتادوا، في وقت سابق، على الانخراط في العمل والنظر إلى ما ستأخذهم المادة إليه، أما الآن فهم يسألون ماذا عسانا أن نفعل".

هل هم مبدعون؟

توفر الإنترنت للشباب القدرة على الوصول إلى قدر أكبر ومدى أوسع من الأعمال الفنية عما كان عليه الحال فيما مضى. وبالمقارنة، فإنّ دخول الشباب على الوسط الأدبي لم يتغير بشكل ملحوظ على مدار السنين؛ في الواقع، أدت سيطرة الوسط المصور إلى إزاحة الوسط الأدبي. لاحظت عالمة الأنثروبولوجيا اللغوية "شيرلي برايس هيث" أنه بفضل الزيادة في المؤثرات البصرية التي حققها التلفزيون والإنترنت يميل شباب اليوم أكثر إلى القول "هل شاهدت كذا؟" بدلًا من "هل سمعت ذلك؟" أو "هل قرأت ذلك؟" ولذا سينصرف شباب اليوم على الأرجح إلى هذا المخزون من الصور المرئية عند ابتكار أعمالهم الفنية. ويتضح في ضوء هذا أنّ التعقيد المتزايد والخروج عن المألوف الذي اكتشفناه في الأعمال الفنية الخاصة بالمراهقين قد يكون بعيدًا عن اكتشاف واستطلاع آفاق وأراضين جديدة مقارنةً بالتجديد الماهر للأعمال القديمة. وبالنسبة لتحليلنا لخيال المراهقين، فإنّ ما لاحظناه من التقليدية الزائدة واستخدام اللغة العامية قد أنتج لغة تفتقر للخيال الذي تُكتب بها التغريدات، والنصوص، والرسائل الفورية التي تشكّل جزءًا كبيرًا من قراءات الشباب اليومية. وبإيجاز، فإنّ ما يبدو خلاقاً على السطح قد يكون مكرّرًا وممجوجًا في واقع الأمر.

رؤية الحفيد للعالم الرقمي

تحدثت انا الدكتور المؤلف "هوارد جاردنر" مع حفيدي ذي الستة أعوام، حول خبراته مع الوسائط الرقمية. ولم تصبني الدهشة، فإنّ الصبي الذي كان دائماً محاطاً بالوسائط الرقمية. كان على إطلاع كامل وشعور كامل بالراحة باستخدام المصطلحات والتقنيات. ولذا دفعته للتحدث عما تعنيه وما لا تعنيه الوسائط الرقمية بالنسبة له، وما الذي وفّرته له أو حرمته منه. وقد أضاءت هذه المحادثة الكثير حول ما يتعلّق برؤية الحفيد للعالم؛ أي رؤيته الكونية الرقمية:

هوارد: ماذا سيكون شعورك إذا ما أخذ والداك كل أجهزتك الذكية وهواتفك بعيدًا عنك لأسابيع قليلة؟

الحفيد: سأشعر بالضيق قليلًا، لكن هذا في الواقع سيعطيني قدرًا أكبر من الحرية... سألهو بألعابي، وسألهو مع أختي، وسأذهب لزيارة الأماكن مع والدتي ووالدي.

هوارد: ماذا تعني بكلمة "حرية"؟

الحفيد: أغلب الناس لديهم وسائل تكنولوجية (وهذه كلماته هو)، وهم يشاهدون كل المباريات، (وأخرج صوتًا يوحي بالملل)، ويفعلون ذلك طوال اليوم، ولا يعملون أي شيء سوى مشاهدة التلفاز... لذا سأتمكن من اللهو بألعابي وأشياء أخرى.

هذا الحفيد ليس دارسًا للوسائط الرقمية بكل تأكيد، ولم يقرأ عن المدينة الفاضلة والواقع المرير. ولم يناقش والديه أو جديه بشأن الإغراءات الغامضة للوسائط الرقمية. ومع ذلك، يشعر وهو في عمر السادسة، أنّ الإنسان يصبح حبيس الوسائل التكنولوجية الحديثة وأنّ العالم الكامن خلفها يغري باكتشافه... وأنّ الزمان والمكان يسمحان بذلك.

الحياة على التطبيقات

من المؤكد أنّ حياتنا المعاصرة أكبر بكل تأكيد من مجموع التطبيقات التي تقع الآن في متناول أيدينا. لكن تأثير التطبيقات بدأ يتغلغل. ونعتقد أنه من المحتمل أن تكون أكثر ضررًا في المستقبل. ويرجع هذا إلى أن اتساع التطبيقات وسهولة الوصول إليها يغرس شعورًا واعيًا بها؛ إنها رؤية العالم من خلال التطبيق؛ وهي الفكرة التي تتمثل في وجود طرق محددة لتحقيق كل ما نرغب في تحقيقه إذا كنا محظوظين بما فيه الكفاية لامتلاك المجموعة المناسبة من التطبيقات، والوصول من ثم إلى "التطبيق الفائق" أو "التطبيق الخارق: لنحيا حياة مرسومة يتم تقديمها لنا بطريقة غير طريقتنا. "ليبقى السؤال الساخر الذي يطرح نفسه: هل مجرد الحصول على المجموعة المناسبة والكاملة من التطبيقات يعني الحصول على حياة مناسبة وسعيدة ومثالية وكاملة؟"

المؤلفان:

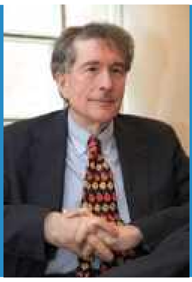

هوارد جاردنر: أستاذ الإدراك والتعلم والتربية في كلية التربية في جامعة هارفارد. حصل على جائزة العلوم الاجتماعية لعام ٢٠١١.

كاتي ديفيس: حصلت على درجة الدكتوراة في التربية من جامعة هارفارد وتعمل أستاذا مساعدا في جامعة واشنطن.

كتب مشابهة:

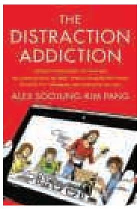

1. **The Distraction Addiction**
Getting the Information You Need and the Communication You Want, Without Enraging Your Family. By Alex Soojung-Kim Pang. 2013.

إدمان اللهو: كيف تعيش وتتواصل في عصر المعلومات دون الإضرار بأسرتك.
تأليف: ألكس سوجونج – كيم بانج. 2013.

2. **The Parent's Guide to Texting, Facebook, and Social Media**
Understanding the Benefits and Dangers of Parenting in a Digital World.

دليل الوالدين إلى الرسائل النصية والفيسبوك والإعلام الاجتماعي: فهم دور الأسرة في العالم الرقمي.

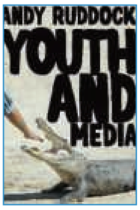

3. **Youth and Media**
By Andy Ruddock. 2013.

الشباب ووسائل الإعلام. تأليف: آندي رادوك. 2013.

"أي شيء يستحق أن نعلمه اليوم يمكن تقديمه وعرضه وتعليمه بأساليب متعددة، وهي أساليب يمكن بدورها أن تستفيد من ذكاءاتنا المتعددة".

هوارد جاردنر

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM FOUNDATION

يعتمد نجاح منطقتنا على بناء بيئة معرفية.

صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

ص.ب: 214444
دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف 044233444
نستقبل آرائكم على pr@mbrf.ae
www.mbrf.ae

للتواصل الاجتماعي وفق التالي:

mbrf_news

mbrf_news

mbrf.ae

6 - 2013

© جميع الحقوق محفوظة